التوائر السردي في روايات رضوى عاشور

إعداد

عزة كمال نصر الدين يونس

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة التواتر السردى في روايات رضوى عاشور وذلك في ضوء المنهج البنيوى، وكيفية توظيف هذا المكون في بنية روايات الدراسة وكيفية استثمار علاقات التكرار بين القصة والخطاب والوقوف على الفوائد البنيوية لهذا التواتر بمختلف أشكاله وكل ذلك طبق تصنيف جيرار جنيت وفق ما تقتضيه معطيات الدراسة.

وجاء البحث في تمهيد تطرقنا فيه لمصطلح التواتر وأهميته وأشكاله في الأعمال الروائية بداية من التواتر المفرد بوظيفته السردية والذى يمثل الإطار العام المكون للأحداث ثم المحكى التكرارى وتركيز الرؤية الذى صحب بعض الأحداث المهمة التي توقف عليها السرد كثيرا وسلك الراوي مجال رؤيته عليها لما لها من أهمية بالغة، لياتى النوع الأخير المثمثل التواتر الترددى واختزال زمن السرد الذى صاحب استخدام طى صفحات الزمن وتجاوز أحداث متكرره وحكيها مرة واحدة.

الكلمات المفتاحية : السرد، التواتر، التفردي، التكراري، رضوى عاشور

Summary:

This research aims to study the narrative frequency in Radwa Ashour's novels in light of the structural approach, and how to employ this component in the structure of the study's novels, and how to benefit from the relationships of repetition between the story and the discourse, and to identify the structural benefits of this frequency in its various forms, and all of this was applied to Gerard Genette's classification as required by the study.

The research came in an introduction in which we discussed the term frequency, its importance, and its forms in fictional works, Starting with the single frequency with its narrative function, which represents the general framework that constitutes the events, passing through the repetitive narrative and the focus of vision that accompanied some important events on which the narration depended a lot, and the narrator restricted his field of view to them because of their importance, at last the frequency of frequency and the reduction of narrative time that accompanied the use of folding. Pages of time, skip repeated events and mention them only once.

Key Words:

Narration, Repetition ,Frequency, Uniqueness, Repetitiveness, Radwa Ashour

التمهيد:

تعد تقنية (التواتر السردي) أو ما يعرف بـــ (التنافر أو الاستغراق الزمنى) قطبًا مهمًا من أقطاب البنية الزمنية، وهو يقف جنبًا إلى جنب مع الأقطاب الزمنية الأخرى في تشكيل أي بنية زمنية داخل الخطاب الروائي بوجه خاص؛ والخطاب القصصي بوجه عام.

ويقصد بالتواتر السردي – وهي الصيغة الأكثر شيوعًا له– دراسة علاقات التكرار بين الحكاية والقصة كما عرفه "جيرار جنيت **Gérard Genette** "([1])، حيث يُشار إلى أنه له فضل السبق في دراسة هذا العنصر وفي تتبع تشكلاته، وقد ذهب "جنيت" إلى أنه " لم يدرس نقاد الرواية ومنظروها ما أسميه تواترًا سرديًا، أي: علاقات التواتر(أو بعبارة أكثر بساطة علاقات التكرار) بين الحكاية والقصة ولم يدرسوه إلا قليلاً حتى الآن"[٢]؛ على الرغم من أهميته الزمنية القصوى.

وترى الباحثة أن هذه الأهمية القصوى هي التي تدفع بنا إلى دراسة هذا العنصر، وهي تكمن في كون العمل الروائي مكونًا من "نسيج معقد من التكرارات، أو من

---

1)[١] جيرار جينيت Gérard Genette (١٩٣٠ ــ ٢٠١٨) ناقد ومنظّر أدبي فرنسي كبير، صاحب منجز نقدي ضخم وفريد في النقد والخطاب السردي وأنساقه وجماليات الحكاية والمتخيل وشعرية النصوص واللغة الأدبية. ولد في السابع من يناير ١٩٣٠م بباريس. بدأ شبابه مؤمنًا بالشيوعية غير أنه سرعان ما انفصل عن الحزب الشيوعي عام ١٩٥٦م عقب اجتياح الجيش الأحمر لهنغاريا. في عام ١٩٦٧م أسس إلى جانب تزيفتان تودرورف وهلين سيكسو مجلة "بويتيك" التي تحولت الى منارة للنقد الأدبي البنيوي في مستهل السبعينيات من القرن الماضي. توفي جينيت بفرنسا في الحادي عشر من مايو ٢٠١٨م عن عمر يناهز السابعة والثمانين عامًا. من أهم كتبه: "خطاب الحكاية" و"مدخل إلى جامع النص".

[٢]) انظر: جيرار جينت: خطاب الحكاية: بحث في المنهج، ترجمة محمد معتصم وآخرين: المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٧م، ص.١٢٩.

التكرارات المترابطة في نمط تسلسلي مع تكرارات أخرى"[١]، وإن تناول علاقات هذه التكرارات ليوضح دور الأحداث وترتيبها وأهميتها والدافع الروائي وهدفه من إقامة هذه العلاقات؛ ولذلك تمثل دراسة هذا العنصر أهمية كبيرة في تحليل أي بنية لأي عمل روائي.

أشكال التواتر السردي :

تناول كثير من نقاد السرد تصنيفات أنماط التواتر السردي تحت مسميات عدة، منها ما ذكره "جيرار جنيت" باسم" التفردّي والتردّدي، حيث يصنف أشكال هذه التقنية إلى أربعة أنماط، على النحو التالي:

النمط الأول:

وقد اصطلح "جيرار جنيت" على تسميته بالحكاية التفردية؛ وهو أن "يروى مرة واحدة ما وقع مرة واحدة[٢]، وهو نمط من التواتر يُعد تقليديًا للسرد حيث طبيعة السرد في الأصل أن يروى مرة واحدة ما وقع مرة واحدة "فهذا الشكل من الحكاية الذى يتوافق فيه تفرد المنطوق السردي مع تفرد الحدث المسرود هو الأكثر شيوعًا بما يقاس... غير أنني اقترح أن أطلق عليه اسمًا حتى أبين تبياناً أنه ليس إلا إمكانا من إمكانات أخرى .إني أسميه من الآن فصاعدًا الحكاية التفردية"[٣].

النمط الثاني:

ويعرف بالتواتر الانفرادي أو التفردي، ويقصد به "رواية عدة مرات ما وقع عدة مرات"؛ ويرى "جنيت" أن هذا النوع من التواتر يبقى مفردّا للتماثل الذى يحققه

---

[١] انظر: جيكلوب لوث، التكرار وأسلوب السرد الأدبي، ترجمة عنيد ثنوان رستم، مجلة الثقافة الأجنبية العراقية، العدد الثالث، السنة السابعة١٩٨٧م، ص٩٤-٩٥.

[٢] انظر: جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ص ١٣٠.

[٣] المرجع السابق، ص١٣١.

التوافق بين عدة حدوثات في القصة ومرات سردها في الخطاب؛ لأن التفردي لا يتحدد بعدد الحدوثات من الجانبين بل بتساوى هذا العدد"[١]، فهدف التواتر والتكرار هنا هو التأكيد و الإلحاح على ما وقع وكأن الراوي "مسكون بفعل يعاوده فيشير إليه مرات عديدة بأكثر من عبارة وبأكثر من صياغة"[٢]، وهو لا يختلف عن النمط السابق في شيء غير أن الباحثة ترى أن تمحور أهمية هذين النمطين إنما تكمن في ملء فجوات السرد، بالإضافة إلى وظيفتهما التي تتمثل في جعل هذه الأحداث وسيلةَ تنقلٍ وجسرًا يربط بين الأحداث، أو حدثًا معينًا يتجاهل بعض التفاصيل والجزئيات التي لا تخدم عملية السرد دون الإخلال بها.

النمط الثالث:

ويعرف بالتواتر التكراري " وهو تكرار رواية حدث وقع مرة واحدة عدة مرات"، ويكون التكرار بتعديل بنية الأسلوب وليس في الحدث، ونرى أنه في هذا النمط من الحكاية لا تتوافق اجترارات المنطوق مع أي اجترار للأحداث"[٣]، حيث يسلط هذا النوع الضوء أكثر من مرة على حدث معين في إطار بنية فنية محددة ودافع فنى معين، عن طريق إعادة صياغته أو الإضافة إلى بنيته "فيصبح بذلك هذا النوع من المحكي التكراري"[٤]

النمط الرابع:

وهو أن "يُروى مرة واحدة ما وقع مراتٍ لا نهائية"؛ وذلك عندما يكون هدف الراوي الإسراع من وتيرة تسلسل الزمن، ويتم ذلك من خلال تجاوز حكايات ليس

---

[١] نفسه، ص١٣٠.

[٢] انظر: يمنى العيد: تقنيات السرد الروائي، ص١٣١.

[٣] انظر: جيرار جنيت: خطاب الحكاية، ص١٣٢.

[٤] انظر: برنار فاليط، النص الروائي، تقنيات ومناهج، ترجمة رشيد بنحدو، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٩م، ص١١٣.

هناك فائدة من تكرارها، حيث سيبدو التكرار هنا عبئًا، ويسمي "جنيت" هذا النمط بـــ "الحكاية الترددية"؛ حيث يكون هناك" نمط من الحكاية يتولى فيه بث سردي وحيد عدة حدوثات مجتمعة للحدث الواحد مرة أخرى"، حيث ينظر للأحداث من حيث تماثلها وحدة، وسنسميها هنا بالحكاية الترددية، وهي طريقة لغوية شائعة وربما تكون كونية أو شبه كونية في مختلف سياقاتها.

أنماط التواتر السردي وجماليات تشكيله في روايات رضوى عاشور:

من أجل تأمل تتبع أنماط التواتر داخل أعمال "رضوى عاشور" وفحصها، وإظهار كيفية توظيف هذه التقنية عندها، فإن الباحثة ستعتمد في تناول هذه التقنية على تصنيف جنيت لها مع إضافة بعض التعديلات على هذا التصنيف، وذلك بأن يتم دمج النوعين الأول والثاني تحت مسمى واحد هو (التواتر المفرد أو الانفرادي)، أما النوع الثالث فيبقى باسم (التواتر التكراري) والنوع الرابع بالترددي.

التواتر المفرد والوظيفة السردية:

تشكّل التواترات الزمنية المفردة في عالم رضوى عاشور الروائي الإطار العام المكون للأحداث، وعنها تتفرع وتتناسل جميع الحكايات الجزئية الأخرى ، فتكون الوظيفة الأولى والأهم لهذه التواترات هي دفع عملية السرد وتحريكه، والوصول به والأحداث إلى درجة الذروة وهي الدرجة المطلوبة، وبالإضافة إلى كونها وسيلة انتقال يلجأ إليها الراوي؛ للارتقاء من مكان إلى مكان ومن زمن إلى زمن ومن شخصية إلى شخصية دون الوقوف كثيرًا على أبعاد هذه الأحداث والشخصيات؛ فإن هذه التواترات لتعدّ الوسيلة الأمثل للانتقال من فترة زمنية معينة إلى أخرى، ومن شخصية محددة لأخرى، ومن مكان مخصوص ذي أهمية كبيرة في سرد الأحداث وبنائها إلى مثيله، مما يجعلنا نطلع على أغلب الأحداث التي تشكل المحاور الرئيسة في أعمال رضوى عاشور، فنراها وكأنها ماثلة أمامنا بفضل عروج الراوي إليها من خلال هذا النوع من التواتر.

ويتجلى هذا النمط بوضوح في رواية (ثلاثية غرناطة)، حيث يتقابل (أبو جعفر) و(نعيم) عند بداية تعارفهما فيسأله الأول عن أهله وحاله، وهنا يحدث السرد مرة واحدة، هادفًا إلى توضيح العلاقة التي تربط بين هاتين الشخصيتين عند بداية تعارفهما؛ ثم منتقلاً من هذا الحدث/ السرد إلى رصد حياة (أبو جعفر) و(نعيم) وكيف أنه لازمه طوال حياته":

- وأين أهلك يا نعيم؟

- رحلوا أو ماتوا.. لا أدري.

أطعمه أبو جعفر وآواه وعلمه أسرار الحرفة، دربه على دباغة جلد الماعز وصباغته وإعداده"[١].

ونلاحظ أن هناك مقاطع سردية أخرى في هذه الرواية تحمل صفة التفردية، لجأ إليها الراوي للانتقال من زمن لآخر؛ عارضًا فيها لعب الأطفال في سرور وفرح، ناقلاً المتلقي إلى حالهم بعد الحصار وكيف سيطرة العدو عليهم، فكان التواتر التفردي هنا يحمل وظيفته الانتقالية من زمن إلى زمن حيث" متعة الركض في الحارات وبحث الواحد منهم عن رفاقه المختلفين خلف الأشجار وسرقة الحُصوم من كروم لا يملكونها، كلها توارت أمام المتعة الجديدة. يوزعون الأدوار ويختلفون ويتعاركون. كلهم يريد أن يكون الثغري أو على الأقل مقاتلا من مقاتليه.... لعبتهم اليومية في الأسابيع الأولى للحصار قبل أن يشح الزاد ويتساقط الناس من شدة الجوع وتقعدهم بطونهم الخالية عن كل ركض ولعب. حتى الحصرم الذي كانوا شغوفين بسرقته"[٢]، بالإضافة أيضا إلى سرد أحداث الزواج والميلاد وغيرها.

---

[١] رضوى عاشور: ثلاثية غرناطة، ص ٩ــ١٠.

[٢] انظر: المصدر السابق، ص٣٧ــ٣٨.

ونرى مثالاً آخر يرد في رواية (ثلاثية غرناطة) للمحكي المفرد أو التواتر المفرد عندما يشير الراوي إلى العادات الأساسية واليومية في حياة الأشخاص، فنرى المقطع السردي الذي يحكى عن طبيعة يوم أبو جعفر وأعماله وحالته النفسية وكيف تأثرت حياته باحتلال بلاده وكيف عاش بقية حياته يصارع الحزن والألم على ضياع الوطن المفقود" كان أبو جعفر وهو يخطو في عقده السابع يزداد صمتًا. صمت كثيف يحجب عن عيون أقرب الناس إليه إطارًا داخليًا. لا ينام أو ينام ساعة أو بعض"[١]، في حين نرى هذا النوع من التواتر المفرد بوصفه تقنية يستخدمها الراوي في ذكر صفات بعض الشخصيات ومواقعها العامة كما نرى من إيضاح شخصية سليمة وعنادها ورفضها الاستسلام مهما بلغ الأمر؛ لتوضح النهاية المحتومة التي تلاقيها هذه الشخصية وهى الموت حرقًا بسبب عنادها وعم استسلامها " حين تنشغل سليمة بأمر ما تنهمك فيه انهماكا كاملا، فلا يقوى أي من أهل الدار ولا كلهم مجتمعين على زحزحتها بعيدًا عنه، وحين ترغب في شيء تظل تطلبه وتلح، ولا تمّل ولا تهدأ ولا تترك أحدًا إلا عندما تحصل عليه"[٢] .

ويمكننا أن ندرج الكثير من المقاطع السردية في روايات رضوى عاشور تحت هذا النوع من التواتر ؛ ومرجع ذلك كله هو تباين الأحداث من حيث الأهمية في العمل الروائي، فهناك الكثير من الأحداث لا يتمتع بالمركزية؛ فلا يجد المؤلف ضرورة من وضعه في إطار التبئير.

المحكي التكراري وتركيز الرؤية

ويعرف هذا النوع باسم (التواتر التكراري أو المحكي التكراري)، ونلاحظ وجوده بشكل مميز في أعمال رضوى عاشور الروائية، حيث ينحصر هذا النوع من التواتر بتسليط الضوء على بعض الأحداث ذات الأهمية البالغة التي حدثت مرة واحدة ولكن

---

[١] نفسه، ص٢٧.

[٢] نفسه، ص٣١.

كان لها تأثير كبير على مستوى الشخصيات والزمن والمكان؛ مما دفع بالراوي إلى إعادة سرد هذه الأحداث مع إضافة بعض التغيرات الأسلوبية التي توجبها عملية السرد على مستوى الخطاب، حيث تحمل بعض المقاطع السردية –على مستوى الخطاب الروائي عند عاشور– صفة التكرارية كما في رواية (الطنطورية) فنرى بعض الأحداث السردية وقد حازت على أهمية بالغة على مستوى بنية السرد، ولأن حدث (الخروج من فلسطين والتهجير خارج البلاد) كان من أهم هذه الأحداث؛ فقد حرصت الراوية على عرضه أكثر من مرة وبوجهات نظر مختلفة ومتعددة؛ من خلال الاستعانة بتقنية (الراوي المتعدد) التي استطاعت الكاتبة من خلالها إعادة سرد الحدث من أكثر من وجهة نظر؛ لتشد انتباه المتلقي إلى قوته ومدى تأثيره السلبى على مختلف فئات الشعب الفلسطيني وجميع طوائفه، فنطالع حدث الخروج مرة على لسان البطلة رقية "غادرنا البيت. طبقت أمي البوابة. أغلقتها بالمفتاح الكبير. استغربت فلم أرَ باب بيتنا مغلقًا أبدًا. ثم سمعنا خطوات واقتحم الدار ثلاثة رجال مسلحين وساقونا إلى دار المختار. ساقونا إلى الشاطئ. قسمونا إلى مجموعتين"[١]، كذلك يظهر لنا هذا الحدث من خلال وجهه نظر أبو صادق" بعد عودة أمين والأولاد إلى بيروت، لم يحدثني عمي إلا عن الطنطورية وعن أبيه وأمه وأخيه. يحكى لي مُطَوَّلا عن طفولته. يستفيض في التفاصيل. لا ينهي حديثة إلا باستعادة يوم اختلف مع أبي حول الرحيل، ويوم عاد من صيدا ليحمل النساء والأطفال فرفع عليه أخوه السلاح"[٢]. ومرة أخرى يرد على لسان بعض نساء المخيم" لما استحلُّوا البلد شردنا إلى القرى المجاورة ننتظر على أمل أن يساعدنا جيش الإنقاذ الذي كان يعسكر على بعد كيلو مترات قليلة"[٣].

---

[١] رضوى عاشور: الطنطورية، ص ٥٩–٦٠.

[٢] المصدر السابق، ص١٦٩.

[٣] نفسه، ص ١٥٠.

من خلال المحكى التكرارى السابق نلاحظ أن العلاقة التكرارية هنا تحتوى على دلاله لا تخفى ، تتمثل في وعى الشخصيات بهذا الرحيل وذلك أيضا مصحوبا بعلامات الأضطراب الذاتى الناتج عن الرفض الداخلى لهذا الرحيل وعدم الراحلة خارج البلاد ، وفى الوقت ذاته هذا التكرار من جانب شخصيات عده صحبه أحساس الرفض التام من كل طوائف الشعب النساء الرجال الشبان.

ومن جانب أخر هذا المحكى التكرارى السابق الذى جاء يوكده الراوي وضح أنه هذا الرحيل لم يتم مرة واحدةأو زمن ماضى بل هو حدث ومازال مستمر حتى الأن فتعدد موثرات تكرار ملفوظات الرحيل سواء كانت معنوية أو حسية منها لتؤكد الكاتبة على بشاعة الحدث وتاثيره على الشعب المستمر فمجرد توارد حدث الرحيل تنشط الذاكرة مباشرة وتبقى في حالة استرجاع مرتبط بالوطن في ذهن الشخصيات

ومثال آخر نراه في رواية (ثلاثية غرناطة) حيث تستخدم الرواية هذا النوع من التواتر لتسليط الضوء على أحداث مهمة فيها على مستوى بنية الخطاب السردي، مثل أمر المعاهدة وما ترتب عليها من تداعيات: " لثلاث ليالٍ لم تنم غرناطة ولا البيازين. تحدث الناس بلا انقطاع ليس عن المعاهدة، بل عن اختفاء موسى بن أبي الغسان"[١]، ولم يعد الناس في غرناطة من هم غير أن تسمع وتتقصى وتجمع التفاصيل حول هذا الأمر، وحين يعلن المنادي الخبر أو يعتلي إمام المسجد المنبر قبل صلاة الجمعة، يسهب فيه ويفسره ويدافع عنه"[٢]، وعلى الرغم من أن المعاهدة كانت "تنص على معاملتنا معاملة شريفة واحترام ديننا وعاداتنا وتقاليدنا وحريتنا في البيع والشراء"[٣]، غير أن الناس" عاشوا همَّ يومهم لا يُهَوِّن عليهم ما ورد في

---

[١] رضوى عاشور: ثلاثية غرناطة، ص١٠.

[٢] انظر: المصدر السابق، ص١١.

[٣] نفسه، ص١٦.

المعاهدة من ضمانات تصون حقوقهم"[١]، إذ كان أمر المعاهدة السرية بين أبي عبدالله محمد الصغير والملكين الكاثوليكيّين قد افتضح وشاع"[٢].

التوتر التكرارى السابق كان تأكيد لما آلت إليه الأمور وما وصل إليه السرد من جانب ومن جانب أخر توكد الكاتبة من خلاله فكرة عامة مفادتها عدم احترام العهد وعدم الألتزام بأى اتفاقات فهى تلقى الضوء من خلالها على أحداث الحاضر وتشير إلى نتائجه بطريق غير مباشر.

النوع الثالث: التواتر الترددي واختزال زمن السرد

المقصود من حضور هذا النوع من التواتر الترددي (رواية ما حدث مرات عديدة مرة واحدة) كما سبق أن أوضحنا في تعريف جنيت له على شكل العادة أو التكرار، والهدف الواضح من استخدامه هو اختزال زمن السرد والتسريع من وتيرته، وتتكشف لنا مظاهر هذا النوع بوضوح في رواية (خديجة وسوسن)؛ حيث يتنوع هذا النمط داخل بنية سرد الرواية؛ فمنه ما يأخذ شكل العادة، ومثاله ما أوردته الراوية من شكل حياة خديجة وانشغالها بتجهيز مشفى زوجها والإشراف عليه" أذهب كل يوم إلى المعادي أتابع العمال وهم يمدون مواسير المياه وأسلاك الكهرباء ويبلطون الأرضية ويركبون الأبواب والنوافذ"[٣]، ومنه أيضا ما يرد في سرد حال خديجة بعد بناء المشفى وانشغالها بإدارتها" لا وقت لديّ للراحة. لا وقت! يأخذ المستشفى كل وقتي. أذهب إليه كل صباح ولا أعود إلا بعد الظهر وأحياناً أعود في المساء"[٤]

ونلاحظ أن استخدام هذا النوع من التواتر في الرواية إنما يكون مرتكزًا للإشارة والتأصيل لبنية المكان، ومع أنه قد يتبلور في شكل عادي وتكراري فإن وظيفته على

---

[١] رضوى عاشور: ثلاثية غرناطة، ص٢٦.

[٢] المصدر السابق، ص٢٦.

[٣] رضوى عاشور: خديجة وسوسن، ص١٠٢

[٤] المصدر السابق، ص ١١٤

مستوى بنية السرد ستنحصر في الإشارة إلى المكان وأهميته؛ وهو ما نراه متحققًا في رواية (ثلاثية غرناطة) في إشارة الراوي إلى عادة أبي جعفر في الذهاب إلى حمام أبي منصور التي تحمل ضمنيًا بيان مكانة هذا المكان(حمام أبي المنصور) وأهميته لدى المسلمين، حيث يمثل معلمًا مهما في حياتهم؛ ففيه يتلاقى علية القوم وتناقش فيه أمور البلاد والأحداث الجارية فيه" كان سعد يتابع الحوار بأذنيه ولا يملك أن يرى أيّا من المتحدثين، إذ كان يجلس مقابل سيده لا يرى من الحمام سوى الحائط وجرن الماء إلى يساره.

ولماذا نحاربهم؟ ألم تكفنا عشر سنوات من الحرب؟ هل تريد أن يحل بنا ما حل بأهل مالقه فنأكل البغال والحمير وأوراق الشجر؟! ... المعاهدة تنص على معاملتنا معاملة شريفة واحترام ديننا وعاداتنا وتقاليدنا ..إلى أخر الحوار أنا مع أبي جعفر، وابن أبي الغسان لم يمت كما يشيع المعارضون. لن يفلت القشتاليون منا"[١].

وفى موضع آخر من الرواية نفسها نرى استخدام هذا النوع من التواتر ليكشف من خلاله الراوي للمتلقي عن بعض أزمات شخصياته وماضيها، فمن خلال توظيفه لهذا النوع من التواتر بواسطة الاسترجاع الخارجي لماضي إحدى الشخصيات يظهر الراوي معاناة سعد منذ رحيله من مالقه وتشرده كاشفًا عن ما لاقاه من صعوبة في حياته منذ تركه لبلاده " لم تكن المرة الأولى التي يجد فيها سعد نفسه بلا مورد رزق، تواجهه أيام يبدو المستقبل فيها كصباح شتائي يجثم عليه الضباب، فلا يكاد المرء يبصر فيه موقع قدميه"[٢].

في تلك الأيام "كان يجتر الماضي، الماضي الأبعد، والغصن ينمو تلقائيًا، والماضي الأقرب وقد صار مقطوعًا من الشجرة تتقاذفه الريح. وكلما استعاد ما مر به تحضره تفاصيل جديدة أفلتت من ذاكرته فيدهشه أنها أفلتت، ويدهشه أكثر ظهورها المفاجئ،

---

[١] انظر: رضوى عاشور: ثلاثية غرناطة، ص١٦- ١٨.

[٢] رضوى عاشور: ثلاثية غرناطة ، ص١٨

فيوقن بعد تأمل أنه لا شيء يضيع، وأن عقل الإنسان صندوق عجيب صغير ما دام محمولاً في الرأس. رائحة البحر ــ وجه أمه، خيوط صفراء واهية تنفذ في خضرة أوراق الكروم المبللة بقطرات. بعد ثلاثة أيام من البحث عن العمل نهارا والنوم في المسجد ليلاً"[١].

هذه النماذج الترددية التي ذكرت سابقا جاءت في بداية الرواية لأهداف فنية واضحة نلاحظة باستمرار مع كل مرة حيث عملت هذه التواترات الترددية على تهيئة لأحداث قادمة في الرواية وهى في الوقت ذاته استرجاعات زمنية تناولت تقديم بعض ماض الشخصيات لتنير جانب معين في حياة هذه الشخصيات فهى بذلك قدمت تصورا الكاتبة من خلالها تصورا واضحا للمتلقى عن بداية الأحداث وفى الوقت نفسه منحته نوعا من التشويق والانتظار

ونرى في رواية (سراج) توظيف تقنية التواتر بما تأخذه العادة والتأصيل للمكان المتمثل في (بنية البحر) التي تعدّ عصب المكان في بنية الرواية " آمنة نخشى البحر ولكنها تكذب على قلبها، تستيقظ قبل صياح الديك وتبدأ يومها بالذهاب إلى الشاطئ، تشخص بعينيها في الظلام وتهمس بالدعاء. بعدها تقصد الميناء، وتسأل:" هل من جديد؟"،" لا جديد".

إنها "تمشي في السكة الموصِّلة للتلة ثم تبدأ في الصعود إلى البيت العالي. تمر بالأقبية وتسمع الأصوات المكتومة والهمهمات وتواصل الصعود إلى بيوت الحريم التي يلفها الصمت وصوت ارتطام الموج"[٢]، ومن خلال استخدام تقنية الاسترجاع نرى أيضا تحقق وظيفة التواتر بالتعبير عن المشاعر الداخلية للشخصيات" في الشهور الأخير كان عمَّار يكثر من التفكير في الماضي، في أمه وأبيه وأخواته الذين لم يعد يذكر لا أسماءهم ولا عددهم. كان يذكر أصواتاً مبهمة كأنها كلام أو همهمات أو أغان تترنم بها امرأة وهي تدير الرحى أو تدق في جرن خشبي"[٣].

---

[١] رضوى عاشور: ثلاثية غرناطة ، ص ١٨ــ١٩

[٢] رضوى عاشور: سراج، ص٥

[٣] المصدر السابق ، ص٤١

غير أنه في رواية (خديجة وسوسن) يأخذ هذا النوع من التواتر جانب التعبير عن بعض المعتقدات القديمة الراسخة في أذهان بعض الشخصيات بما يعلن عن مواقفها التقليدية، فنرى عدم حماس شخصية جدة ووالدة خديجة لخلفة البنات ورفضهما للبنت " تزجرني أمي باستمرار، وتكرر:" الولد أرحم"! ولا أعرف لماذا تقول ذلك فأنا أكثر تفوقًا من أحمد، أحصل على أعلى الدرجات النهائية في معظم المواد وأضمن حصول مدرستي على كأس المنطقة في كرة اليد، وأنوي أن أصبح طبيبة وأعرف أنني سأتمكن من ذلك. ولكن تقول:" الولد أرحم" وتنحاز لأحمد بلا وجه حق. تقول: " إنه أخوك ويريد حمايتك"! فهل أنا كسيحة أو عمياء لكي يحميني؟ أنا أكبر منه وأفضل منه. قالت لي إحدى زميلاتي في المدرسة:" هكذا الأمهات يفضلن الأولاد وينحزن لهم، ويتعاملن معنا بقسوة غير مفهومة". فهل هذا صحيح؟ يبدو صحيحًا، فلماذا؟"[١]

وتخلص الباحثة في نهاية هذا التتبع إلى أن علاقات التكرار بين القصة والحكاية في أعمال رضوى عاشور الروائية تتمثل في ثلاثة أنماط هي: التواتر التفردي والتكراري والترددي، وقد أظهرت الدراسة تميز التواتر التكراري فكان النمط الأكثر شيوعًا، واستطاعت الكاتبة من خلال معطياته أن تحقق به وظائف مهمة؛ تمثلت في الإشارة إلى بعض الأحداث الرئيسة التي كان لها إسهام مباشر في تحديد مجرى الأحداث والشخصيات، وفي توظيف بنية الزمن مما ساعد أيضًا في إبطاء حركة السرد؛ لإلقاء الضوء على معاناة بعض الشخصيات وبيان صعوبة حياتهم مع التركيز على بعض الأحداث التي لعبت دورًا مميزًا على مستوى الرواية جاعلة منها بؤرة زمنية طوال عملية السرد، في حين كان التواتر الترددي حاضرًا أيضًا ولكن بشكل مبسط حيث لجأت إليه المبدعة لاختصار بعض الأحداث والتسريع من وتيرة السرد، وبخاصة في الرواية ذات المتخيل التاريخي حيث تناولت فترة زمنية طويلة للغاية، وقد ساعدت هذه التقنية على غض النظر عن بعض الأحداث مكتفية بالإشارة إليها مرة واحدة، مع حرصها كذلك ذكر بعض الأماكن والشخصيات.

---

[١]) رضوى عاشور: خديجة وسوسن، ص٢٢ــ٢٣

الخاتمة:

كشفت الدراسة عن استخدام الروائية رضوى عاشور مُجمل أنواع التواتر السردي في أعمالها الأدبية وفقا لتصنيف جيرار جنيت مع بعض الاختلافات غير الجوهرية، وكان التواتر التكراري أكثر الأنواع شيوعًا في مجمل أعمالها، وقد حقق هذا مجموعة من الفوائد البنائية تمثلت في القدرة على التأثير على المتلقي، ووصف الحالة الشعورية للشخصيات، وما تعانى منه باستمرار دون حدوث ملل أو قطع لوتيرة الزمن، وكذلك تكسير خطية الزمن بين القصة والحكاية، وذلك من خلال تقنية الاسترجاع التي كانت مصاحبة لهذا النوع من التواتر، وقد توصلت الباحثة إلى جملة من النتائج يمكن الإشارة إليها من خلال النقاط التالية:

١. أسهم توظيف التواتر السردي في استحضار الصورة من خلال تكرار الحكي لترسيخ المشهد في ذهن المتلقي بطريق غير مباشر.

٢. تواجد التواتر المفرد بطبيعة وظيفته السردية، حيث قام بمجموعة من الوظائف بالإضافة إلى الوظيفة السردية السابقة، التي تمثلت في دفع مسيرة السرد من جانب وتكامل أجزاء الحدث من جانب آخر.

٣. صاحب التواتر الترددي في الروايات اختزال السرد ودفع الأحداث.

٤. تداخلت الأنواع الأدبية الثلاثة في بعض الأحداث مما يزيد من قيمة الأثر الدلالي والفني.

المصادر والمراجع

المصادر:

١. الطنطورية، دار الشروق للطباعة والنشر، الطبعة الثامنة ٢٠١٦م.

٢. ثلاثية غرناطة، دار الشروق للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة عشر ٢٠١٤م.

٣. خديجة وسوسن، دار الشروق للطباعة والنشر، الطبعة الثانية٢٠١٧م.

٤. سراج، دار الشروق للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة ٢٠١٧م.

المراجع العربية:

١. يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي ــ بيروت ــ لبنان، الطبعة الثالثة ٢٠١٠م

المراجع المترجمة:

١. جيرار جنيت، خطاب الحكاية بحث في المنهج، ترجمة محمد معتصم، عبد الجليل الأزدى، عمر حلمي، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م

٢. برنار فاليط، النص الروائي، تقنيات ومناهج، ترجمة رشيد بنحدو، المشروع القومي للترجمة. القاهرة. مصر

الدوريات والمجلات العلمية:

١. يكلوب لوث، التكرار وأسلوب السرد الأدبي، ترجمة عنيد ثنوان رستم، مجلة الثقافة الأجنبية العراقية، العدد الثالث، السنة السابعة ١٩٨٧م